كلية الآداب

يهود المغرب قبل الاحتلال الفرنسي

إعداد الطالبة

غادة حمدي عبد السلام

كلية الآداب – جامعة دمياط

٢٠١٥

( )

المقدمة

أن الاهتمام بتاريخ وحضارة اليهود المغاربة يندرج ضمن المحاولات الجادة لكل باحث عربي لرصد ظاهرة إمكانية التعايش السلمي تحت سقف واحد بين مختلف الأديان .

لذلك إتسع خلال القرن الماضي حقل الأبحاث المعنية بدراسة علاقة اليهود بالمسلمين في بلدان المغرب العربي بصفة عامة ، وفي المغرب بصفة خاصة ، حيث كان لتأسيس دولة إسرائيل ، وتزايد حدة النزاع العربي الإسرائيلي ، وهجرة أعداد كبيرة من يهود المغرب لإسرائيل ، أثره في تزايد إهتمام الباحثين بدراسة تاريخ يهود المغرب .

وتعتبر الأقلية اليهودية بالمغرب من أكثر الجماعات تأثيرا داخل المجتمع المغربي ، إذا ما قورنت بالأقليات اليهودية الأخري في بلدان المغرب العربي (تونس – الجزائر – ليبيا) ، ويبدو ذلك التأثير

واضحا في المجال الاقتصادي والثقافي ، والنشاط السياسي والاجتماعي .

لذا تضافرت العديد من العوامل ، كما ساهم حسن التعايش بين اليهود والمغاربة بروح من الاحترام والاتزان في إرساء جو من الثقة بين الطرفين ، كما أدي إنصهار اليهود في الذات المغربية بسهولة دون حاجز أو عائق تطبعة إختلاف العقيدة ، إلي إغناء كلا من الثقافة الإسلامية والعبرية ، وإزدهار الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية لليهود والمسلمين علي حد سواء ، فالكل يخضع لمنظومة قانونية واحدة ترعي الطرفين بالتساوي .

ويمكننا القول أن الحضور اليهودي بالمغرب قد تغلغل في مختلف نواحي الحياة بالبلاد بدءا من الملاحات (الحي اليهودي) داخل المدن المغربية العتيقة ، وصولا إلي مساهماتهم إلي حد كبير في السياسة المغربية وإلتصاقهم بالحكام والأجانب .

وكان ذلك الوضع مردة الأساسي إلي الإطار القانوني المعتدل الذي إتخذته السلطات الحاكمة تجاه اليهود بالإضافة إلي سماحة الإسلام .

وبناءا عليه فقد تم تخصيص ذلك البحث لإلقاء الضوء علي وضع اليهود المغاربة في فترة ما قبل الحماية الفرنسية عام ١٩١٢ م ومدي تأثرهم وتأثيرهم علي المجتمع المغربي . وذلك وفق العديد من التحولات والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي طرأت علي بنايات المجتمع المغربي في ذلك الوقت .

هذا بالإضافة إلي محاولة أعادة قراءة وكاتبة شطر هام من تاريخ المغرب الخاص ببداية التواجد اليهودي بأرض المغرب ، وعلاقة اليهود بالمغاربة ومراحل تطور تلك العلاقة وتأثيرها علي المجتمع المغربي قبل فترة الاحتلال الفرنسي لذا ركز ذلك البحث علي النقاط التالية :

١- يهود الأندلس .

٢- بداية التواجدي اليهودي بالمغرب.

٣- التغيرات الاقتصادية

٤- التغيرات الاجتماعية والقانونية .

٥- علاقة يهود المغرب بأرض فلسطين .

يهود الأندلس :

عاشر اليهود في بلاد الأندلس قبل الفتح العربي الإسلامي لها كطبقة مغلوبة علي أمرها ، فقد هربوا إلي أسبانيا ، واليونان ، وشمال أفريقيا ، عقب تحطيم هيكلهم الثاني إلا أن أكثر العناصر المهاجرة اتجهت نحو أسبانيا بسبب ضعف سلطة الكنيسة بها وبعدها عن الدولة البيزنطية [١].

وقد اشتغل اليهود بأسبانيا بالنشاط الاقتصادي والأعمال الحسابية ، كما قام بعضهم بالعمل في التجارة ، وظن اليهود غداه إستقرارهم بالبلاد أنهم بأمان إلا أن ذلك لم يحدث فقد كانوا مكررهين من

---

[١] - عبد الجليل شلبي : اليهود واليهودية ، القاهرة ، دار أخبار اليوم ، ١٩٩٧ ، ص ١٥٥

قبل أهل البلاد ، وذلك بسبب إختلاف عقيدتهم وتعاملهم بالربا[1] . ويرجع إضطهاد الحكام القوط لليهود بأسبانيا بسبب نشاطهم التبشيري وتشجيعهم لتفشي الزواج المختلط بالرغم من إصدار المجالس الكنسية قرارات بمنع زواج المسيحيين من اليهود [2].

ويذكر بعض المؤرخين أن اليهود بأسبانيا كانوا علي صلة بأبناء ملتهم في الشمال الأفريقي فقد كانوا علي علم باخبار الحرية الدينية التي تمتع بها أبناء ملتهم في ظل الحكم العربي الإسلامي ، فدفعهم هذا إلي اسقاط الدولة القوطية ، وتدبير المؤمرات لقلب نظام الحكم [3].

وقد نتج عن ذلك أن عقد أعضاء مجمع طليطلة اجتماع للحكم علي اليهود للتخلص منهم ،

---

[1] - عطية القوصي : اليهود في ظل الحضارة الإسلامية ، جامعة القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، د. ت ، ص ١٢٧ .

[2] - جمال حمدان : اليهود انثروبولوجيا ، القاهرة ، دار الهلال ، العدد ٥٤٢ ، ١٩٩٦ ، ص ١٦٢ .

[3] - عطية القوصي : المرجع السابق ، ص ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

كما فرضت عليهم عقوبات بغية تنصيرهم ، مما كان له أثر في تعاون اليهود مع الفتح العربي الإسلامي للتخلص من الحكم القوطي [١].

وفي عام ٧١١ م تم الفتح العربي الاسلامي لأسبانيا علي يد طارق بن زياد ، واقيمت في أسبانيا حضارة عربية إسلامية مزدهرة ، ولقد تم خضوع اليهود لقانون أهل الذمة علي غرار إخوانهم بالمغرب[٢].

وقد عاش اليهود في الأندلس جنبا إلي جنب مع المسلمين وتمتعوا بحرية تامة وتقلدوا المناصب العليا في الدولة حيث ولا هم العرب كبري المدن وقربوا إليهم المتعلمين منهم [٣].

---

[١] - عطية القوصي : المرجع السابق ، ص ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١

[٢] - زينب حسن أبو زيد : اليهود في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ٤٨٤ – ٦٤٠ – ١٠٩ – ١٢٤٣ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٧، ص ١٣ .

[٣]- سناء عبد اللطيف : الجيتو اليهودي دراسة للأصول الفكرية والثقافية والنفسية للمجتمع الإسرائيلي ، دمشق ، دار القلم ،

ولم تفرض الدولة الإسلامية في كافة ربوعها علي أهل الذمة بالإقامة في أماكن محددة فقد نشأت الأحياء اليهودية باختيار اليهود ويرجع ذلك لميلهم التاريخي للعزلة [١].

كما عاش اليهود تقريبا في كل المدن والقري الأندلسية ، وكان الحي اليهودي في الغالب يقع بالقرب من القصر الملكي ، إلا أن التوزيع السكاني لليهود بالأندلس لم يكن متساويا فقد أدي عامل هجرة اليهود من القري للمدن من أجل العمل بالتجارة إلي إزدياد عدد سكان المدن عن القري [٢].

كما إزداد أيضا عدد اليهود من بعض المدن دون الاخري مثل (قرطبة ، طليطلة ، غرناطة ، اشبيلية) وإنقسمت إحياء اليهود في المدن الأندلسية

١٩٩٩ ، ص ١٧٤ ، شفيق الراشيدات : الأوضاع القانونية ليهود البلاد العربية ، القاهرة ، مطبوعات الأمانة العامة لاتحاد المحامين العرب ، ١٩٧١ ، ص ١٢ .

[١] - زينب حسن أبو زيد : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

[٢] - زبيدة محمد عطا : اليهود في العالم العربي ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٣ ، ص ١٥٦ .

إلي أحياء كبيرة وأخري صغيرة ، وسكنت العائلات ذات الأصول العريقة داخل الأحياء الكبري وتميز أفرادها بثرائهم وإرتفاع مستوي ثقافتهم وإتصالهم برجال البلاط ، وكان يتم اختيار القضاه والأحبار ورئيس أعضاء مجلس الطائفة من أبناء تلك الطبقة[1].

ويمكننا القول أن إختيار رئيس الطائفة كان يتم عن طريق ترشيح الجماعة اليهودية نفسها ، وكان رئيس الطائفة يحمل لقب (الناسئ)[2] ويساعده مجلس يتكون من سبعة شيوخ كان ذلك المجلس يجتمع للتشاور في أمور الجماعة ، وكان من بين مهام رئيس الجماعة ومجلس الطائفة تحديد أسعار

---

[1] - سناء عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٧٣ ، زينب حسن أبو زيد : المرجع السابق ص ٣١ .

[2] -الناسئ : هي كلمة عبرية بمعني الرئيس وهو لقب يمنح لرؤساء اليهود .
محمد جلاء أدريس : مؤثرات عربية وإسلامية في الآداب الإسرائيلي ، القاهرة ، دار الثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص ٢٦

المواد الغذائية ، قمع الغش ، منع الأطفال من ممارسة الحرف قبل وصولهم سن التعليم الديني[1].

كما يمكننا القول أن رئيس الطائفة وأعضاء المجلس كانوا لا يتقاضون أيه رواتب مقابل تأدية وظائفهم فهم من ذوي المال ، ولمجلس الطائفة صندوق توضع فيه الضرائب التي تفرض علي بيع اللحوم والخمور وإقامة الأعراس ، كما تودع فيه الصدقات والغرامات ، ومن إيرادات صندوق الطائفة يوفر المجلس أجور الحاخامات والعاملين في المعبد واحتياجات الفقراء ، وبعد تكوين مجلس الطائفة يتم تعيين القضاه ، وتتكون المحكمة اليهودية من ثلاثة قضاه ، لابد أن تتوافر فيهم شروط الإلمام بالشريعة والعلوم الدينية بالإضافة للثقافة العامة [2].

كان لليهود قضائهم الخاصة بهم ولا تتدخل الإدارة الإسلامية في شئونهم إلا إذا وقع خلاف بين

---

[1] - زينب أبو زيد : المرجع السابق ، ص ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .
[2] - زينب أبو زيد : المرجع السابق ص ٣٣ .

اليهودي والمسلم ، ففي تلك الحالة تعرض القضية علي القضاء الإسلامي [١].

ولقد تمتع القضاه في الأندلس بمكانة أكبر من تلك التي كانت لنظرائهم في المشرق بل كانت منزله القاضي تعلو منزلة الرابي ، ويعاون القاضي الكتاب الموثقون اللذين يتولون كتابه نصوص القضايا وتسجيل الأحكام ، ويتلقي هؤلاء أجورهم من صندوق الطائفة [٢].

أما في مجال المال فقد حصل يهود الأندلس علي امتيازات كثيرة تحت الحكم الإسلامي ، فقد عملوا كسفراء في عدد من الأقطار العربية ، كما عملوا بالتجارة الخارجية وجباية الرسوم الجمركية والتفاوض نيابة عن الملوك مع التجار الأوروبيين[٣].

---

[١] - عطية القوصي : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

[٢] - زينب حسن أبو زيد : المرجع السابق ، ص ص ٣٤ ، ٢٥ .

[٣] - عادل الجادر " آخرون " : يهود الأقطار العربية ، بغداد ، بحوث الندوة التي عقدها مركز الدراسات الفليسطنية ١٣-١٤ / ١٩٨٧ ، ١٩٩٠ ، ص ٢٢٤ ، هدي درويش : اسرار اليهود

وقد امتهن يهود الأندلس العديد من الحرف والصناعات منها الغزل والنسيج ، نسخ الكتب وتجليدها ، وفي عهد المرابطين والموحدين نشطت حركة التجارة الخارجية نتيجة لتنوع المادة الخام ، مما أدي إلي أن برع الصناع الأندلسيين في تحويل تلك المواد إلي منتجات وبالتالي نشط التجار اليهود في تصريف تلك المنتجات وأيضا استيراد ما يحتاجه السوق الأندلسي من بضائع[1] .

وعلي المستوي الثقافي والعلمي أزدهرت الحركة الفكرية اليهودية في الأندلس في ظل الحاكم العربي الإسلامي ، وبدأ اليهود بفضل مساعدة العلماء المسلمين يهتمون بإحياء لغتهم العبرية وتراثهم الأدبي، فظهر في الأدب العبري فن المقامات التي

المستنصرين في الأندلس ، دراسة اليهود المارانوس ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٦ .

[1] - توزيع اليهود في العالم العربي والمعرفة ، قسم البحوث والدراسات، ٢٠٠٦/٥/١٧ ،ص٣

www.Aljazeera.net

كانت تحاكي مقامات (الحريري – بديع الزمان الهمذاني) [١].

كما نشطت الدراسة التلمودية وظهر عدد لا بأس به من علماء اليهود اللذين تتلمذوا علي يد علماء المسلمين أمثال (بن رشد) فبدأ يسطح نجم الشعر العبري والأناشيد الدينية ، وقد درج عدد من العلماء والشعراء اليهود علي استخدام اللغة العربية في كتاباتهم ، ولكن بحروف عبرية أمثال (موسي بن ميمون)[٢] .

ولم تكن معرفة الأدباء اليهود باللغة العربية معرفة سطحية ، بل إنهم تبحروا في بلاغاتها وآدابها ، وقد نتج عن ذلك أن نال الشعر العبري مواطن خصبة لم تطأها قدمة من قبل غيرت من قالبه

---

[١] - عطية القوصي : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

[٢] - عبد الجليل شلبي : المرجع السابق ، ص ١١٧ ، إبراهيم بيصون : أسبانيا في تاريخها – المسيحيون والمسلمون واليهود ، مجله العربي ، العدد ٦١٥ ، الكويت ، وزارة الإعلام ، ٢٠١٠ ، ص ١٨٧ .

وتقنياته ، فأصبح شعر (البيوط)[1] ينظم وفق تقنيات الشعر العربي الذي كان يعاصره ، كما أصبحت اللغة العبرية تنسج علي منوال اللغة العربية إلا ما كان من الفروق الخاصة بحركات المد الطويلة والقصيرة ، كما استهوي الشعراء اليهود البحور العربية ، وقد ترتب عليه أن أصبح الشعر من بين الأنماط التعبيرية المفضلة في المجتمع اليهودي بالأندلس [2].

ونستنتج مما سبق أن اليهود بالأندلس كانوا أحسن حالا من غيرهم في البقاع الأخري من حيث الأمن والاستقرار ، وقد لعبوا بما يتميزوا به من وضع قانوني دورا هاما في إزدهار حياه البلاد الاقتصادية ،

---

١ -بيوط : لفظة عبرية تعني انشاد أو شعر وجمعها " بيوطيم " وهي عبارة عن أشعار دينية تدخل علي صلوات اليهود ويستخدم فيها ألفاظ من العهد القديم واللغة الأرامية.
هدي درويش : الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية ، اليهودية ، المسيحية ، الإسلام ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٦ ، ص ٩٣ .

٢ - زينب حسن أبو زيد : المرجع السابق ، ص ص ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، حاييم الزعفراني . ترجمة " أحمد شحلان " ، يهود الأندلس والمغرب ، الرباط ، النجاح الجديد ، د.ت ص ١٧٦ ، ١٧٠ .

بل وفي الشئون العامة ، وكما منحهم الرخاء والحرية الفرصة لطلب العلم وبلوغ مراتب عليا في الآداب العبرية والعربية الأندلسية ، مما مكنهم من أن يأثروا بتأثير كبير في تطور الفكر اليهودي .

وفي عام ١٤٩٢ تعرض اليهود إلي حملة قتل وتشريد عقب سقوط الحكم العربي الإسلامي بالأندلس ، رافق سقوط غرناطة قيام كلا من الأسبان والبرتغاليون بإضطهاد اليهود اللذين لم يكن أمامهم سوي الهجرة أو التنصير [١].

وبناءا عليه خرج اليهود من ولاية قشتالة وجزر صقلية وسردانية ، واتجهوا نحو الجنوب (المغرب الإسلامي) متخذين لإقامتهم الجديدة مراكز عديدة ، فكانت النتيجة المباشرة لذلك أن برزت ملامح الوجود اليهودي في الغرب بشكل واضح [٢].

---

[١] - عادل حامد الجادر " آخرون " : المرجع السابق " ص ٢١٨ .

[٢] - محمد الراوي : اليهود المغاربة ، الشرق الأوسط ، العدد ١٣٥٧ ، الرباط ، ٢٠٠٤/٧/١١ ، ص ٥

بداية التواجد اليهودي بالمغرب

تعتبر بداية التواجد اليهودي في المغرب من الإشكاليات التاريخية الكبري التي يصعب الخروج منها بنتائج قطعية ، إذ يصعب علي أي مهتم بتاريخ اليهود بالمغرب أن يدلي بنتائج نهائية تجيب عن عدة فرضيات مرتبطة بالجانب التأصيلي لهذه المسألة .

لذا تطرح علينا قضية التواجد اليهودي بالمغرب العديد من التسؤالات أهمها ما يلي :

هل اليهود بالمغرب من أصول أجنبية وافده ، أم هم من أصول محلية تابعة من الأراضي المغربية ، وإذا كان الأمر كذلك ، فما هي الأصول الجغرافية ليهود المغرب؟

وهل المسألة اليهودية في البلاد المغربية تعتبر قضية عقيدية دينية ؟ أم عرقية سلالية ؟ ومن

جانب آخر ما السر في التواجد اليهودي المكثف في المغرب عبر تاريخه؟ وكيف كانت علاقة هذه الشريحة الاجتماعية مع باقي فئات المجتمع المغربي ما قبل الإسلام ، وما بعد وصول الفاتحين العرب ، وأيضا في فترة الحماية الفرنسية علي البلاد ، بل كيف كانت الجهات الرسمية الحاكمة للبلاد المتمثلة في السلطة المخزنية تنظر لمسؤليتها تجاه مختلف العناصر اليهودية [١].

وللإجابة علي تلك التساؤلات يمكننا القول أنه يسود اعتقاد في بعض المصادر التاريخية أن الطائفة اليهودية بالمغرب هي أول مجموعة (غير بربرية)[٢]

---

[١] - عبد الله استيتيو: اليهود في المغرب، ص ٣
www.aljabiabed.com

[٢] - البربر : هم أقدم سكان المغرب وهم عرب من أصول كنعانية لازالت لهم أثار في منطقة طنجة والعرائش ، وقد احتلهم الرومان بقيادة يوليوس قيصر عام (٤٠ ، ٤٥ ق . م) وكلمة بربر يرجعها البعض إلي أصل لاثيني قديم بمعني المتعلثم في كلامه ويقصد بها أن الرومان لم يستطيعوا فهم لغة البربر فأطلقوا هذا الاسم علي سكان شمال أفريقيا علي وجه العموم . والبربر ينسبون

قدمت للبلاد مند ما يناهز ٢٨ قرنا ، أي في أعقاب خراب الهيكل الأول ، ٥٨٦ ق . م ، ويؤكد ذلك الاعتقاد بعض المصادر الأثرية المتمثلة في العثور علي أحجار في كلا من (طنجة – فاس) التي وضعت كعلامات من قبل (يواب بن سوريا) قائد جيش الملك داود ، أثناء دخوله المغرب متعقبا نخبة من العائلات الفلسطينية الأصل [١].

إلي جدهم (بن تملك بن مازيغ) وقد مروا بمصر ونقلوا معهم عبادة آمون وقد قدمت إلي المغرب العديد من الهجرات كان أهمها الموجه الحامية لذلك كان سكان المغرب خليطا من البربر ، الفنيقين ، المصرين ، الفرس ، اليهود ، إلي جانب الأغريق والمغاربة في الشمال ويتميزون بالبشره البيضاء ، أما في الجنوب فتميل البشرة إلي السمرة المعتدلة ، وفي المناطق الصحراوية لون البشرة يغلب عليه السمار الشديد ، كذلك الحال مع القبائل التي أختلطت بالزنوج .

محمد عبد الحميد الحمد : دور اليهود في الحضارة الاسلامية د. ق ، ٢٠٠٦ ، ص ٤١٧ ، سوزان السعيد يوسف : المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية دراسة عن مواد أبي حصيره القاهرة ، عين للدراسات ، ١٩٩٧ ، ص ٨٢

١ - مأمون كيوان : اليهود في الشرق الأوسط ، الخروج من الجيتو الجديد ، القاهرة ، الأهلية ١٩٩٦ ، ص ٩٤ مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٧١ بيروت ، دار النهار ١٩٧٧ ، ص ١٦٨ .

وبالإضافة إلي ذلك تشهد مجموعة من النقوش المكتوبة بالعبرية علي شواهد القبور والتي تم العثور عليها في الأطلال الرومانية تؤكد علي تمركز مجموعات يهودية بأعداد كبيرة في منطقتي (ويلي ، شالة) جاءت للمغرب مع البحارة الفينقين[1].

وقد عرف الوجود الروماني (المسيحي) بالمغرب نشاطا دينيا مكثفا في منطقتي (سوس ، درعة) وبالرغم من ذلك تمكن اليهود بفضل إختلاطهم المباشر بالقبائل البربرية من اقتناع عدد من تلك القبائل بكل الوسائل من اعتناق الديانة

---

١ - بابا سيدي : ترجمة " محمد برادة " يهود مغاربة : مجله شئون فلسطينية ، العدد ٧١ ، بيروت ، دار النهار ، سنه ١٩٧٧ ، ص ١٧٤ . علي عبد السلام سيد أحمد . ورقات تاريخية عن حياه البربر الدينية والخلفية في المغرب العربي ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٣٠ ، ٣١ ، القاهرة الجيلاوي ، ١٩٨٤ ، ص ص ١٠٠ ، ١٠١

اليهودية، فتأثرت بهم قبائل (جراده ، نفوسه – مندلاوه) وذلك قبل مجئ الفتح الإسلامي [1].

إلا أن الرومان وقفوا في وجه اليهود بالمرصاد وعملوا بدورهم علي القيام بعملية تبشير للدين المسيحي في صفوف كلا من اليهود والبربر ، وذلك باعتبار أن الدين المسيحي دينا رسميا يندرج ضمن مقاليد حكم الرومان[2] .

وبناءا عليه يمكننا القول أن اليهودية دخلت إلي المغرب منذ ما قبل الميلاد إلي مناطق سكن البربر في الجنوب وذلك من خلال التأثيرات المباشرة بين الجماعات البربرية واليهودية وقد تميز يهود تلك المناطق بتحدثهم اللغة الأمازيغية وبأنهم يشبهون

---

[1] - عادل حامد الجادر : (آخرون) ، المرجع السابق ، ص ٢١٦

[2]- سهام لعسري : نبذة عن اليهود في تاريخ المغرب ، ص ١
www.anfasse.org

البربر في طرق حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولا يختلفون عنهم إلا في الديانة [١].

وقد أدي تمتع اليهود بكامل حريتهم في عهد الرومان إلي ازدياد اعدادهم ، واحترافهم كل ركائز الحياة الاقتصادية من رعي وصناعة علاوه علي التجارة وخاصة تجارة الرفهيات ولم يقبل اليهود علي الزراعة مهتمين بمهن أخري تدر عليهم أرباح سريعة ولا تحتاج إلي توطين [٢].

وبنظرة عابرة علي ما سبق نجد أنفسنا أمام فراغ كبير حيثما يتعلق بالفترة الفاصلة بين الحكم الروماني وبداية الفتح العربي الإسلامي للمغرب علي يد عقبة بن نافع عام ٦٨٣ م الذي وجد مقاومة

---

[١] - اليهود المغاربة تاريخهم تحقيق الفجر – ٢٠١٣ ص ٢
www.elfajr.net

[٢] - سام برنر : اليهود العرب عالم تم محوه وصفحك ازيلت من كتب التاريخ ، د . ن ، د . ت ، ص٩ .

شديدة من نصاري البربر وترحيبا من القبائل اليهودية[1] .

وعندما استقر الحكم العربي الإسلامي بالبلاد تنعم اليهود بالحرية الكاملة وتم تحديد وضعيتهم الدينية والاجتماعية في إطار التشريع الخاص بحماية أهل الذمة علي يد أدريس الأول مؤسس الدولة الإسلامية الأولي بالمغرب [2].

وفي عهد أدريس الثاني أصبحت مدينة فاس مركزا للثقافة اليهودية فظهرت بها الأرهاصات الأولي للنحو والشعر العبري ، كما أصبحت مركزا للدراسات اللغوية والدينية وكذلك الدراسات التلمودية بعد مدينة القيروان مما أدي إلي أن ظهرت بها نخبة من رجال الدين المتميزين كالحاخام (اسحق الفاسي) [3].

---

١ - محمد عبد الحميد الحمد : المرجع السابق ، ص ٤١٨ .
٢ - سهام لعسري : المرجع السابق ، ص ٢
٣ - بابا سيدي : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، سهام لعسري : المرجع السابق ، ص ٢ .

وفي عام (١٠٥٠) أسس (محمد بن الشريف الحسني) الدولة العلوية في (فاس – مكناس – سلا) وأعطي الحرية لليهود اللذين صاروا يتاجرون مع (صقلية ، البندقية ، برشلونه) فأصبحوا يستوردون (البهارات ، المرايا ، النحاس ، الفولاز ، الأسلحة ، بينما كانوا يصدرون (الحديد ، القطن ، الشموع ، الجلود) [١].

ونستنتج مما سبق أن اليهود في بلاد المخزن (المناطق التي تخضع للسلطة المركزية) عاشوا احرارا واكتسبوا الكثير في عادات وتقاليد المسلمين كان أهمها إيمانهم بفكرة تعدد الزوجات علي الرغم من تحريم الديانة اليهودية لذلك الأمر [٢].

١ - محمد عبد الحميد الحمد ، المرجع السابق ، ص ٤١٨
٢ - مغاربة يهود : ويكيبديا الموسوعة الحرة ، ٢٠١٣ ، ص ٢

أما بالنسبة ليهود الجنوب ، فقد اختلفت أوضاعهم عن يهود الشمال اللذين اكتسبوا صفات جيرانهم من البربر ، لذلك كانوا يعانون من التزمت وفقدان التسامح الديني ، كما أنهم اكتسبوا الكثير من عادات وتقاليد البربر ، كان من أهمها الإيمان بالخرافات والتنبوء بالسحر ، لذلك أفرطوا في استخدام الأحجبة وصناديق التعويذات والأشكال والرموز كما انتشرت لديهم ظاهرة زيارة القبور واستبرك لدي الأولياء الصالحين [1].

وقد عاش أهل الذمة بالمغرب في عهد المرابطين حياة اجتماعية ودينية خضعت في بعض الأحيان للأوضاع الاقتصادية فشهدوا نتيجة ذلك فترة في الشدة حيث فرضت عليهم بعضا من القيود ، كان منها عدم السماح لهم بالإقامة والعيش بمدينة مراكش

[1] - روم لاندو : تاريخ المغرب في القرن العشرين ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠ ، جهاد فاضل ، اليهود في المغرب العربي ، جريدة الرياض ، د .ن ، د.ت ، ص ٢

Www.alrigabhi.com

، التي أسسها (يوسف بن تاشفين) عام ١٠٦٢ م إلا في أوقات النهار فقط لقضاء أعمالهم التجارية [١].

وعلي وجه العموم يمكننا القول أن اليهود في عهد المرابطين لم يشهدوا ازدهارا فكريا أو ثقافيا بل تراجعت في ذلك الوقت مكانة اللغة العبرية ، كما قل الإنتاج الأدبي وعلي الرغم من ذلك لم يسجل التاريخ نزاعا دينيا واحدا بين المرابطين واليهود [٢].

ونستنتج مما سبق ، أن إنصهار العنصر اليهودي في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في المجتمع المغربي بشكل أو بصورة تنشط وتختفي ، كان حسب الظروف السياسية والاجتماعية التي عرفها المغرب ، وحسب طبيعة الحكم فيه ، كما يمكننا القول أن العنصر اليهودي لم يكن بالنسبة

---

١ - إيمان عبد الرحمن : التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف ١١٠٦ – ١١٤٢ م – العدد ٢١٥ – مج ٨ ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الموصل ، ٢٠١٤ ، ص ١

٢ - سهام لعسري : المرجع السابق ، ص ٢

للمغرب والمغاربة عنصرا دخيلا بل أنهم شكلوا حتي قبل بروز حكم الدولة الإسلامية بالبلاد عنصرا أساسيا من ضمن العناصر السكنية المكونة للمغرب وفي نهاية الأمر ، يمكننا القول أن الطائفة اليهودية بالمغرب امتزجت داخل الشكل العام المتناسق للفسيفسائية الدينية والثقافة للبلاد [١].

وفي عام ١٤٩٧م سقط الحكم العربي الإسلامي بالأندلس ، وتعرض اليهود بالأندلس للاضطهاد علي يد محاكم التفتيش ، مما دفعهم إلي الهجرة علي طول الشريط الساحلي لموانى البحر الأبيض والمحيط الأطنلطي ، وبناءا عليه تدفقت علي المغرب موجه كبيرة من المهاجرين اليهود اللذين استقروا في (مكناس ، فاس ، سلا ، تطوان) بينما

---

١ - التاريخ اليهودي : ص ١

استوطن يهود البلاد الأصليون في المناطق الجبلية وتخوم الصحراء [1].

وكان اليهود المهاجرون يشعرون بالاعتزاز والانتماء للمدن المغربية التي آواتهم لدي هروبهم من الأسبان ، وقد اتسم وضعهم بقدر من الاستقرار ونجحوا في الاندماج في المجتمع المغربي تحت الحكم العربي ، الذي غير من أوضاعهم وأصبحوا يعاملون كذميين بعد أن كانوا أقلية مضطهدة من قبل الأسبان[2].

وبناءا عليه يمكننا تقسيم يهود المغرب إلي فئتين الأولي (المغورشيم) أي المهجرون وتمثلوا في

---

[1] - ماهر سمك : اليهود في المغرب ، القاهرة ، دار الحرية ، ١٩٩٨ ، ص ٦١ ، ٦٢ سوزان السعيد : المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .

٢ - ديمة عبد الرحيم : يهود المغرب العربي في إسرائيل ، مجله شؤون فلسطينية ، بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٨١ ، ص ٦٦ ، عزه أنس سيد : الحياة الاجتماعية ليهود المغرب من منتصف القرن التاسع عشر حتي أوائل القرن العشرين ، دورية علمية محكمة ، العدد الثاني ، ج ٢ جامعة الأزهر كلية اللغات ، ٢٠١٢ ، ص ١٥ .

العنصر الايبيري الوافد من أسبانيا ، أما الفئة الثانية تسمي (التوشفيم) أي المحليون والمقصود بهم سكان البلاد الأصليون [١].

وقد إختلفت المجموعتان العرقيتان من حيث الأصل واللغة والمستوي الثقافي ، بل الأكثر من ذلك أنها اختلفت في مفاهيمها الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها، حيث احتفظت طائفة المهاجرين بالتقاليد الأندلسية وباللغة الأسبانية (القشتالية) وحملت معها العلوم والآداب والموسيقي الأندلسية ، كما حددتها أعرافهم التي جعلت منهم عكس أخوانهم اليهود المحليون مجموعة إجتماعية ثقافية مميزة [٢].

وقد أدي التميز الفكري والثقافي ليهود أسبانيا بالإضافة لسماحة الإسلام إلي تفوقهم في المجال

---

١ - آسفي مدينة يهود بدون ملاح – مجله سفا باريس ، العدد ٤٧٥ ، ٢٠٠٨/٨/٢٠ ، ص ٢

www.safipress.com

٢ - حاييم الزعفراني . ترجمة " أحمد شحلان " ألف سنه من حياه اليهود بالمغرب ، الرباط ، مرسم ، ١٩٨٧ ، ص ٣٦.

التجاري وقيامهم بربط اتصالاتهم التجارية بالواحات السوسية ، وبلاد السودان وفرنسا ، كما أدخلوا علي المغرب العديد من المهارات الصناعية والحرفية بالإضافة لأعمال الصرافة [١].

أما اليهود المحلين فقد كانوا يتحدثون اللغة البربرية العربية ، وقد اندمجوا إندماجا كليا مع سكان البلاد الأصليين ، وعلي الرغم من التباين الواضح بين الطائفتين (المهاجرين المحليين) فقد ظلت اللغة العبرية قاسما مشتركا بينهما [٢].

كان يهود المغرب منتبهين إلي تنوع أصولهم العرقية الثقافية ، مما أدي إلي حدوث حالة من التوتر والنزاع بين اليهود الأصليين والأسبان في العديد من المسائل الخاصة بالعبادة والطقوس

---

[١] - سهام لعسري : المرجع السابق ، ص ٣ روم لاندو : المرجع السابق ، ص٣٣ .

٢ -مأمون كيوان : المرجع السابق ، ص ص ٩٤ ، ٩٥ .

والقوانين وقد انتهي ذلك النزاع بأنتصار اليهود الجدد اللذين أخذوا قيادة الجماعة اليهودية [١].

وقد يكون من المفيد هنا أن نشير إلي أوجه التسامح الإسلامي تجاه اليهود الأصليين وكذلك إزاء من لحق بهم من مهاجرين أسبان فلم تحرمهم السلطة السياسية أو الإدارية في كامل أطراف المغرب من ممارسة أنشطتهم بكامل الحرية [٢].

التغيرات الاقتصادية :

تتفق العديد من الدراسات التي تناولت أوضاع اليهود بالمغرب علي تأكيد إيجابية العلاقة التي ظلت تربط اليهود بباقي الجماعات المكونة للمجتمع المغربي من جهة وبالسلطة المركزية من جهة ثانية ، وكان المرجع الأساسي المعتمد لدي هذه الدراسات هو مجموع الوثائق والمراسلات التي كان

---

[١] - حاييم الزعفراني : ترجمة " أحمد شحلان " ، ألف سنه من حياه اليهود بالمغرب ، المرجع السابق ، ص ١٤

[٢] - محمد الحبيب بن الخوجة : يهود المغرب العرب ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣ ، ص ٣٥

يبحث بها سلاطين المغرب التي تضمنت التزامات صريحة من جانب هؤلاء لحماية الطائفة اليهودية وضمان حقوقها ، بل ومنحها امتيازات لم تكن من حق غيرهم خاصة في مجال النشاط الاقتصادي [١].

وتفيد العديد من الوثائق أنه في القرنين السابع عشر والثامن عشر ظهرت فئة من كبار التجار اليهود أحتلت مكانة متميزة عبر التاريخ المعاصر ولدي سلاطين الدولة وذلك بفضل خبراتها وكبر حجم أنشطتها التجارية ، مما أدي إلي أن أطلق عليهم لقب (تجار السلطان) وقد ساهمت هذه الفئة في استثمار أموال المخزن بل أنها لعبت دور الوسيط للدولة في تعاملتها مع الشركات التجارية الأجنبية ، وكان غالبية مشاهير تلك الفترة من ذوي الأصول الأندلسية [٢].

---

[١] - عبد الاله بلقزيز : الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية ١٩٤٧-١٩٨٦ ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ١٨٤

٢ - محمد الراوي : المرجع السابق ، ص ٥

وبحلول القرن التاسع عشر تغيرت الأوضاع الاقتصادية حيث شهدت البلاد بداية للتغلغل الأوروبي وذلك مع بداية تطبيق سياسة الحماية القنصلية التي فرضتها الدول الأوروبية علي المغرب بعد هزيمتها في معركتي (ايسلي ١٨٤٤ ، تطوان ١٨٦٠) [١].

ويمكننا القول أن حقوق الأجانب اللذين استقروا بالمغرب منذ بداية القرن التاسع عشر لأغراض تجارية أو دبلوماسية كانت خاضعة لأحكام الشريعة الإسلامية ، إلا أنه عندما تزايدت أعدادهم نتيجة تزايد التدخل الأوروبي طالبت القوي الغربية بالمزيد من الحرية لمواطنيها وخلال اتفاقية مدريد عام ١٨٨٠ تم أعطاء العديد من الامتيازات لموظفي القنصليات والتجار منها الإعفاء من ضريبة الاستيراد والتصدير .

---

١ - عبد الاله بلقزيز : المرجع السابق ، ص ١٨٤

وبناءا عليه وضع الأجانب تحت النظام القانوني لبلادهم الذي طبق عليهم في المغرب وسط جاليتهم بشكل مستقل [١].

وقد تم استبعاد اليهود من تلك الامتيازات وذلك لاعتبارهم مواطنين مغاربة من رعايا السلطان مثلهم في ذلك مثل المسلمين ، لذا تم الحفاظ علي وضعيتهم كأهل ذمة ، ولم يسمح لهم بالحصول علي الجنسية الأوروبية ، وبالرغم من ذلك تمكنت مجموعة منهم عن طريق بعض القناصل الأوروبيين من اكتساب وضعية (المحمي) مما أدي إلي تدهور العلاقة بين اليهود والحكومة المغربية التي أتهمتهم بالتواطئ مع القوي الأوروبية[٢] .

---

[١] - محمد طحطح : الأخوه الأعداء – يهود المغرب في العصر الحديث ٢٠١٢/١/١٦ ، ص ٣

www.hespress.com

[٢] - عادل حامد الجادر " آخرون " المرجع السابق ، ص ٢٢٦

وقد ترتب عليه أن اتخذت الحكومة الإسلامية بعض الإجراءات تجاه اليهود اللذين أصبحوا يمثلون طابورا خامسا ، هذا بالإضافة إلي بداية ظهور علامات الفكر الصهيوني خلال ذلك القرن الذي تلقي الدعم منذ ولادته من الدول الاستعمارية الغربية[١].

ونستنتج مما سبق أن أحوال اليهود في تلك الفترة اختلفت كثيرا عن مثيلاتها فقد تميز ذلك القرن بتعاقب أحداثه التي ساهمت في تضيق الخناق علي المغرب حتي ظهور الأرهاصات الأولي للحماية الفرنسية ١٩١٢ م ، وقد عملت الدول الأوروبية التي تغلغل كيانها في المملكة الشريفة علي استغلال الظروف بهدف تحقيق مصالحها الشخصية ، لذا تم إدخال العديد من اليهود بوابة الحماية القنصلية ليتمتعوا بكافة الامتيازات ومن بينها التخلص من وضعية الذمي[٢].

---

١ - سهام لعسري : المرجع السابق ، ص ١٨٤

٢ - سهام لعسري : المرجع السابق : ص ١٨٥

وفي عام ١٨٥٠ م جاء سوء محصول القمح المغربي وارتفاع أسعاره لكي يجبر البلاد علي الاستيراد من الخارج ، مما تسبب في سوء الأحوال الإقتصادية ، وانتشار العصابات والسرقات مما اضطرت السلطة المخزنية للاستيراد فأخذت السفن تصل إلي العرائش ، الرباط ، وموجادير ، محملة بالقمح من فرنسا وجبل طارق وأسبانيا إلي المغرب[١] .

وبعد انتهاء الأزمة جاءت السنوات التالية بمحصول وفير للمغرب ، فتبدلت علميات الاستيراد إلي عمليات تصدير مما ترتب عليه أن إزدادت أهمية كلا من فاس ، جبل طارق ، كما تزايدت أعداد اليهود المشتغلين في تلك المدن والموانى ، وقد ساعدهم تماسكهم وقوة روابطهم الدينية علي نجاحهم[٢].

---

١ - جلال يحيي : المغرب العربي الحديث والمعاصر حتي الحرب العالمية الأولي ، فرع الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٢ .

٢ - جلال يحيي:المرجع السابق ، ص ص ١٠٢ ، ١٠٣

وعندما بدأت البيوت التجارية الأوروبية في التعامل مع المغرب إضطرت لإرسال مندوبين عنها للإشراف علي عملياتها كان علي هؤلاء المندوبين أن يحصلوا من السلطات علي تصاريح للإقامة والمتاجره ، إلا أن السلطات كانت تضع لهم العراقيل ، لذلك فضل الأجانب ترك وكلاء لهم كانت غالبيتهم يهود ، وبذا بدأ دور اليهود يسطع في السيطرة علي تجارة المغرب [1].

وقد ترتب عليه زيادة أرباح اليهود وثرائهم خاصة وأنهم كانوا يحصلون من البيوت الأوروبية المالية علي رؤس الأموال اللازمة لشراء وتصدير المواد الخام ودفع الرسوم اللازمة عليها ثم يحصلون من المخزن علي شروط ومهلات طويلة السداد ، مما سمح لهم باستخدام الأموال الأوروبية في عمليات جانبية ، كما كان لترابط اليهود وتشابه العلميات التي

---

١ - نفسه : ص ص ١٠٧ ، ١٠٨

يقومون بها في جميع أنحاء حوض البحر المتوسط أثره في أنشاء شبكة يهودية رأسمالية مغربية تتحكم في تجارة حوض البحر المتوسط بأكمله [1].

لذا يمكننا القول أنه بحلول منتصف القرن التاسع عشر انتقلت مراكز الأنشطة التجارية إلي المدن الساحلية التي يقيم بها رجال الأعمال والقناصل الأوروبيين فأصبحت تلك المدن مراكز اقتصادية رئيسية ، كما ظهر بين يهود المغرب شريحة اجتماعية اقتصادية جديدة اشتغل ابناءها بالتجارة وخاصة في مجال الاستيراد والتصدير، حيث عمل هؤلاء أما كعملاء للدول الأوروبية أو شركاء في الصفقات التجارية ، وحرص هؤلاء التجار اللذين انتموا للطبقة البرجوازية علي استثمار أموالهم بالخارج أو تحويلها إلي وسائل انتاج ، كما استغل هؤلاء

[1] - جلال يحيي:المرجع السابق: ص ص ١٠٨ ، ١٠٩

الرعايا التي منحتهم إياها القنصليات الأجنبية في الحفاظ علي مصالحهم وتكون ثروات طائلة [1].

وكان التجار اليهود بالمغرب من أوائل اللذين حرصوا علي شراء أسهم الشركة البحرية الفرنسية ، كما يمكننا القول أن معظم ممثلي قناصل الأجانب بالمغرب حتي نهاية عقد الخمسينيات من القرن التاسع عشر كانوا من اليهود فمثل التاجر اليهودي " سرويه " في الرباط قناصل أربع دول هي (بريطانيا ، الولايات المتحدة ، أسبانيا ، البرتغال) كما مثل (ش سوميل ، و.ي بن دهان) القنصل الفرنسي في الدار البيضاء[2].

وبناءا عليه يجب أن نتفهم حقيقة أنه كلما تحسنت أوضاع أبناء الطبقة البرجوازية اليهودية ،

---

١ - ميخال أفيطبول : ترجمة " جمال الرفاعي " ، اليهود في البلدان الإسلامية ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة ، ١٩٩٥ ص ص ٢٨٤ ، ٢٨٧ .

٢ - ميخال أفيطبول : ترجمة " جمال الرفاعي " ، المرجع السابق : ص ٢٨٨

كانت تتدهور في المقابل أوضاع غالبية اليهود ، وذلك أما نتيجة للازمات الاقتصادية التي تمت في العصور الحديثة ، أو نتيجة لظهور النظام الرأسمالي الذي أضر بمصادر الرزق التقلدية التي اشتغل بها بعض من اليهود ، أو نتيجة لتعرض اليهود إلي بعض المضايقات من قبل السكان المغاربة اللذين كانوا يؤمنوا بأن اليهود هم المسؤلين عن تدهور الأوضاع الاقتصادية بالبلاد [١].

التغيرات الاجتماعية والقانونية :

صاحب إحتلال القوي الأوروبية لبلدان المغرب العربي ، العديد من التحولات كان من أبرزها إتساع حركة الهجرة من القرية إلي المدينة ، وتزايد قوة حركة التصنيع وزيادة نسبة المواليد وظهور انماط جديدة من السلوك الاجتماعي [٢].

---

[١] -نفسه : ص ٢١٠

٢ - ميخال أفيطبول : ترجمة " جمال الرفاعي " ، المرجع السابق: ص ٢١٠

وتزودنا المراسيم والأحكام الربية (الفتاوي الشرعية) بمعلومات قيمة عن حركة الهجرة الداخلية لليهود المغاربة التي تعددت أسبابها والتي كان من بينها سوء الأحوال الاقتصادية في بعض الفترات بالبلاد والهروب من الجماعات وإضطهاد الحكام، وتعد الزيارات الدينية أيضا سببا من أسباب الهجرة عبر المغرب ، إذ كانت تقوم عائلات بأكملها بتحمل أعباء السفر لمسافات طويلة لتفي بنذر قطعته علي نفسها بزيارة قبر من قبور الأولياء الصالحين [١].

ويمكننا القول أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر لم يعد لليهود بالمغرب وجودا في المراكز الريفية الواقعة علي سهول جبال أطلس ، بل إتجهوا إلي المدن الساحلية ومنها (طنجة ، موجادير ، كازابلانكا) وقد شكل اليهود منذ عام ١٨٥٠ م ما يتراوح بين ٢٥ % ، ٤٠ % من التعداد الكلي لسكان

[١] - حاييم الزعفراني . ترجمة " أحمد شحلان " ، الف سنه من حياه اليهود بالمغرب ، المرجع السابق ، ص ص ٢٢ ، ٢٣

هذه المدن ، الذي كان يقرر آنذاك بمائة ألف نسمة ، إلا أن هذه النسبة ارتفعت في عقد السبعينيات لتصل إلي ٥٥٪ [١].

وقد شعر يهود المغرب عند إقامتهم بالمدن الجديدة بأن الحظ بدأ يبتسم لهم وأن العمل بها سيتيح لهم فرص أفضل لتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية ، هذا بالإضافة إلي حصول بعض هؤلاء علي قسط وافر من المعرفة الحديثة من المؤسسات التعليمية الأوروبية التي مارست أنشطتها في هذه المناطق في الخمسينيات والستينيات من القرن التاسع عشر .

أما عن الهجرة خارج البلاد فقد كان لرغبة اليهود في تحسين أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية أثرها علي حركة الهجرة الخارجية فهاجر البعض منهم إلي بعض الدول الأوروبية كما هاجر البعض

---

١ - ميخال افيطبول . ترجمة " جمال الرفاعي " : المرجع السابق ، ص ٢٨٤

الأخر للأسباب دينية للقدس ، أما الغالبية العظمي منهم ففضلوا الارتحال إلي المناطق القريبة لمنطقة جبل طارق التي تميزت بنشاطها التجاري [١].

أما عن التحولات القانونية التي طرأت علي أوضاع يهود المغرب في ذلك الوقت فقد كان من أبرز سماتها إلغاء السلطات الحاكمة لكافة القيود التي فرضت علي اليهود أبان العصور الوسطي ، وبالرغم من ذلك لم يتحرر يهود المغرب من إغلال الرعوية التقليدية حيث ظلت القيادة الدينية المحافظة تسيطر علي مقاليد الأمور خاصة في أوساط اليهود ، المقيمين بالداخل اللذين لم يتأثروا بالفكر الأوروبي ، أضف إلي ذلك أن تنفيذ الإصلاحات القانونية كان مرتبطا أيضا بمدي معارضة رجال الدين والطبقات الشعبية للإصلاحات[٢] .

---

[١] - ميخال افيطبول . ترجمة " جمال الرفاعي " : المرجع السابق : ص ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

[٢] - ميخال افيطبول . ترجمة " جمال الرفاعي " : المرجع السابق: ص ص ٢٩٤ ، ٢٩٥

علاقة يهود المغرب بأرض فلسطين :

شهد النصف الثاني من القرن الثامن عشر تحولات مهمة في حركة الهجرة اليهودية من بلدان المغرب العربي بصفة عامة ، حيث تزايدت منذ ذلك الحين اعداد اليهود المهاجرين ، فبينما هاجر طيله الفترات السابقة العشرات من اليهود إلي أرض الميعاد شهدت تلك الفترة هجرة المئات من اليهود المغاربة لفلسطين .

وقد شملت الهجرة العديد من التغيرات كان من أهمها إختلاف أعمار المهاجرين فبينما كان المهاجرون في الماضي من الشيوخ والعجائز ، أصبحت تتراوح أعمارهم بين الثلاثين والخمسين عاما .

كما شملت التغيرات أيضا دوافع الهجرة ، حيث كانت معظم هجرات اليهود المغاربة في البداية لأسباب دينية أما بغرض العبادة أو لقضاء ما تبقي

من العمر هناك ، ولم يكن للدعوة الصهيونية في بداية الأمر دخل في ذلك [١].

وفي نهاية القرن الثامن عشر طرأت تغيرات علي يهود المغرب كان لها أبلغ الأثر في تغير موقفهم إذاء الهجرة لفلسطين ، فقد تعرض اليهود خلال فترة حكم السلطان يزيد (١٧٩٢-١٧٩٠) لكثير من الإضطهادات ، مما شجع شعراء اليهود بتنظيم مراثي وقصائد أعربوا فيها عن رغبتهم في الرحيل من المغرب والحنين إلي الخلاص [٢].

كما كان لمذهب (القبالاه) [٣] أثره في حركة الهجرة ، ذلك المذهب الصوفي الذي انتمي إليه يهود

---

[١] - ميخال افيطبول : ترجمة : جمال الرفاعي ، المرجع السابق ، ص٣٣٣

٢ - ميخال افيطبول . ترجمة " جمال الرفاعي " : المرجع السابق ص ٣٣٨

٣ - القبالاه : كلمة آراميه تعني ما يتلقاه الخلف عن السلف وهي مزيج من الفكر الصوفي والتعاليم السرية اليهودية والاسلامية وتدور تعاليمها عن اليهود حول ثلاث نقاط هي :

* أن الله كائن مطلق ويمكن أن يبدو في أشياء محسوسة كالنار التي بدت لموسي .

المغرب والذي نشط في زمن الحاخام (داود حسين) ذلك الحاخام الذي نظم الكثير من القصائد في حب بيت المقدس ، مما أدي إلي أحياء الآمال المسيحانية ، كما تزايد في ذلك الحين اهتمام الحاخامات بإعداد الحسابات لمعرفه الخلاص ، وبالرغم من أن المولي سليمان الذي خلف المولي يزيد ألغي المراسيم التي صدرت في الماضي ضد اليهود ، إلا أنه في عام ١٨٠٧ م أصدر مرسوم قضي فيه بأبعاد اليهود عن السكن في المدن وتشيد أحياء خاصة بهم [١].

وقد كان لمثل هذا القرار تأثيرات عديدة ، حيث أدي إلي إزدحام الأحياء اليهودية وتعرض اليهود لمشكلة سكانية حادة أسفرت عن هجرة المئات إلي القدس ، وبزيادة موجات الهجرة زادت إعداد

---

* أن روح الإنسان خالدة بإنتقالها بين الأجساد وهي تنتظر المسيح (المخلص) الذي من نسل داود يأتي ليحرر بني اسرائيل من الظلم والتشتت ويقودهم إلي أرض الميعاد .
محمد عبد الحميد الحمد : المرجع السابق ، ص ٤١٤

١ - ميخال افيطبول . ترجمة " جمال الرفاعي " ، المرجع السابق ، ص ٣٣٨ .

المهاجرين مما أحدث خلل داخل المجتمع اليهودي، فضطر الحاخام (بن ستور) قاضي مكناس في ذلك الوقت بإصدار فتوي بمنع هجرة اليهود لفلسطين بحجة أن الهجرة تعرض الفرد وعائلته لخطر الطريق [١].

وبناءا عليه فقد إتخذت السلطات قرارات بشأن الحد من نشاط مذهب القبالاه لما له من أثر علي ازدياد حركة الهجرة ، إلا أن المتصوفين من اليهود كانوا بمثابة تيارا قويا ، حيث تجاوزا فتوي الحاخامات وقاموا بأثاره حمية البسطاء مما أدي إلي ازدياد إعداد المهاجرين [٢].

ومن الجدير بالذكر أن تيار الهجرة اليهودية المغربية لفلسطين لم ينقطع عبر القرون فقد كان

---

١ - ميخال افبطبول : ترجمة جمال الرفاعي المرجع السابق ، ص ص ٤١٩ ، ٤٢٠ .

٢ - محمد عبد الحميد الحمد : المرجع السابق ، ص ٤٢٠

الطلاب يتوافدون علي (اليشفوت)[1] للتعلم ، كما هاجر بعض الفقهاء اللذين استدعي اهتمامهم حواضر الثقافة الكبري في (القدس ، طبرية ، صفد) التي أنشأ بها أكثر من ستة عشر جالية يهودية مغربية [2].

وبحلول القرن التاسع عشر كان البحث عن الثروه والأمن والتحرر الاجتماعي والمساواة في الحقوق هي أهم أهداف تلك المرحلة ، لذا قام المئات من اليهود المغاربة بالتوجه لأماكن بعيدة مثل (الولايات المتحدة)[3] .

---

[1] - اليشفوت : مدرسة دينية عليا أو كلية توراتية وهي من أقدم المعاهد التعليمية اليهودية واليشفا ذات مستوي علمي أعلي من الحيدر (يشبه الكتاب عند المسلمين) أو تلمود توراه وهذا الاسم ورد في التلمود ويعني جلسة أو تجمع من العلماء
محمد جلاء أدريس : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

٢ - مأمون كيوان : المرجع السابق ، ص ٩٥

[3] - حاييم الزعفراني . ترجمة " أحمد شحلان " يهود الأندلس والمغرب ، ج٢ ، المرجع السابق ، ص ٥٥٦

كما تزايد أيضا في العصر الحديث أعداد اليهود المهاجرين اللذين قرروا المجئ لفلسطين في ذلك الوقت لأسباب إقتصادية وكان معظمهم ينتمون إلي الطبقتين المتوسطة والدنيا حيث كان معظمهم أما باعة جائلين أو حرفيين أو تجار من ذوي الطبقة المتوسطة بالإضافة إلي أعداد من الشحاذيين [1].

ومن الجدير بالذكر أن العديد من أحبار يهود فلسطين كانوا يأتون إلي المغرب في ذلك الوقت ويطوفون بين أنحائه لجمع التبرعات وأرسالها لفلسطين وأيضا لنشر المعارف والوعظ وتوزيع الكتب ،وكان لهذا الدور الذي كان يقوم به الرابي المقدسي المتجول أثره في جعل يهود الشمال الأفريقي أكثر اطلاعا من غيرهم علي ما يجري بالعالم وأكثر إتصالا بتطورات الحياة [2].

---

[1] - ميخال أفيطبول . ترجمه " جمال الرفاعي " ، المرجع السابق ، ص ٣٣٣

[2]- محمد الحبيب بن الخوجه ، المرجع السابق ، ص ٣٧

كما يمكننا القول أنه قد تزايدت قوة الرابطة بين يهود المغرب ويهود فلسطين بعد أن أصدرت الطائفة اليهودية بفاس عام ١٩٠٣ م قرارا يقضي بضرورة تقديم دعم اقتصادي بشكل منتظم إلي المستوطنين اليهود بفلسطين[١] .

وبناءا عليه فقد عينت الطائفة بفاس لهذا الغرض محاسبا في كل المعابد اليهودية بفلسطين واعتمدت علاقات اليهود المغاربة بالمستوطنين اليهود بفلسطين كما ذكرنا سابقا علي مبعوثي الاستيطان اللذين كانوا يأتون من أجل جمع التبرعات ، كما كان لمذهب القبالاه الذي ركز علي مسائل مثل الشتات والخلاص ومجئ المسيح أثره في تزايد قوة الرابطة بين المغرب وفلسطين [٢].

---

[١] - ميخال افيطبول . ترجمة " جمال الرفاعي " المرجع السابق ، ص ٣٣٧

٢ - نفسه : ص ٣٣٧

وقد أدي ذلك إلي أن شهدت مناطق (الجليل ، طبرية) علي وجة الخصوص في بدايات القرن التاسع عشر تحولا مهما تمثل في تفضيل اليهود القادمين من بلدان الشمال الأفريقي علي سائر يهود البلدان الإسلامية ، كما تزايدت قوة ومكانة اليهود اللذين من أصول مغربية في مدن (الخليل) حيث تولي أبناء العائلات اليهودية المغربية في هذه المدن القيادة الدينية.

كما كان للرعايا الأوروبية وخاصة الفرنسية التي حظيت بها بعض العائلات المهاجرة مثل عائلة (عبوا) التي تولي أبناءها القيادة (بصفد) أثرها في تزايد قوة ومكانة العائلات اليهودية المغربية الأصل بفلسطين ومن الملاحظ أن معظم مهاجري المغرب استقروا بالقدس ، وكان لهم دور فعال في تطوير الاستيطان اليهودي في مرحلة لاحقة [١].

[١] - ميخال افيطبول . ترجمة " جمال الرفاعي " ، المرجع السابق ، ص ٣٤١

وكان من بين العوامل التي ساعدت اليهود المغاربة علي الأندماج السريع مع المجتمع الفلسطيني أن غالبية المهاجرين كانوا من الشباب اللذين اشتغلوا بالتجارة وبالمهن اليدوية الأمر الذي ساعدهم علي النجاح في إقامة علاقات اقتصادية قوية مع السكان العرب بفلسطين وعلي الرغم من ذلك يوجد لدينا صعوبة في التعرف علي التعداد الدقيق لليهود المغاربة ، اللذين هاجروا واستوطنوا بفلسطين خلال القرن التاسع عشر ، فمن المعروف أنه قد هاجر لفلسطين خلال الفترة ١٨٦٠ – ١٨٩٠ بضع مئات من اليهود اللذين أحدثوا طفرة في مسيرة الانتاج وفي الأنشطة التجارية والصناعية بفلسطين ، وقد أدي ذلك إلي تزايد أهمية الهجرة من بلدان المغرب العربي لفلسطين .

وبناءا عليه فقد شهدت نهايات القرن التاسع عشر تزايد تدريجي في تعداد الهجرة المغربية

لفلسطين إلي أن شكلت حوالي ربع أبناء الطائفة السفاردية في القدس في ذلك الوقت .

كما شهدت الطائفة اليهودية المغربية بفلسطين خلال هذه الفترة تطورات عديدة بفضل الأنشطة التي قام بها الحاخام (داود بن شمعون) زعيم يهود الشمال الأفريقي ، والذي استقر بالقدس خلال الفترة من (١٨٥٤ – ١٨٨٠) وأسس عام ١٨٦٧ م للمغاربة حي (محسنية يسرائيل) كما يرجع إليه الفضل في تأسيس ملجأ لفقراء الطائفة بالقدس بإلاضافة لتأسيس للعديد من المعابد والمؤسسات التعليمية اليهودية[١] .

وفي النهاية يمكننا القول أنه في ٣٠ أذار عام ١٩١٢ م وبعد حروب طاحنه استطاعت فرنسا فرض حمايتها علي المغرب وكان اليهود أول من استبشروا خيرا بالاحتلال كما ساهموا في العديد من

[١] - ميخال افبطبول : ترجمة جمال الرفاعي ، مرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

التغيرات والتحولات التي طرأت علي البلاد في ذلك الوقت.

الخاتمة :

في ضوء ما تقدم من استعراض للجوانب المختلفة للواقع السياسي والاجتماعي وأيضا الاقتصادي والثقافي ليهود المغرب خلال فترة ما قبل الحماية الفرنسية يمكننا إبراز أهم نتائج البحث فيما يلي:

١- إن التاريخ العربي الإسلامي وحضارته الثقافية والسياسية قامت علي أساس من العدل والمساواة والتسامح مع الطوائف الدينية الأخري .

٢- أوضحت الدراسة أن يهود المغرب لعبوا دورا فعال في مختلف جوانب الحياة بالمغرب وشاركوا في مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، وذلك بحرية تامة ودون شرط أو قيد ، فلم تصدر السلطات الحاكمة تجاههم أي قرار يمنعهم من مزاولة مهنة أو حرفة معينة .

٣- تمتع يهود المغرب بحق المواطنة المغربية الكاملة فقد كانوا جزءا لا يتجزأ من نسيج المجتمع المغربي ، كما تمتعوا بحماية رجال البلاط الحاكمة بالإضافة إلي تمتعهم لعديد من الامتيازات الأجنبية .

٤-امتلاك يهود المغرب تراثا ثقافيا غنيا إمتزج بالثقافة والتقاليد العربية ، الإسلامية ، مما عبر عن الإندماج الكامل داخل المجتمع المغربي بين الأكثرية والأقلية .

قائمة المصادر والمراجع

رسائل جامعية :

– زينب حسن أبو زيد : اليهود في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ٤٨٤– ٦٤٠٠ – ١٠٩ – ١٢٤٣ م – رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٧ .

البحوث والمقالات :

عادل حامد الجادر : يهود الأقطار العربية ، بغداد ، بحوث الندوه التي عقدها مركز الدراسات الفليسطينية ١٣–١٤/١٩٨٧، ١٩٩٠ .

المراجع العربية :

– جلال يحيي : المغرب العربي الحديث والمعاصر حتي الحرب العالمية الأولي ، فرع الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ .

– جمال حمدان : اليهود انتردبولوجيا ، القاهرة ، دار الهلال ، العدد ٥٤٢ ، ١٩٩٦

– حاييم الزعفراني : ترجمة أحمد شحلان ألف سنه من حياة اليهود بالمغرب – تاريخ – ثقافة – دين ، الرباط ، مرسم ، ١٩٨٧

– حاييم الزعفراني : ترجمة أحمد شحلان يهود الأندلس والمغرب ، ج١ ، ج٢ ، الرباط ، النجاح الجديدة ، د.ت

– دوم لاندو : تاريخ المغرب في القرن العشرين ، د.ت ، ١٩٨٠ .

– زبيدة محمد عطا : اليهود في العالم العربي ، القاهرة ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية ، ٢٠٠٣

– سناء عبد اللطيف : الجيتو اليهودي دراسة للاصول الفكرية والثقافية للمجتمع الإسرائيلي ، دمشق ، دار القلم ، ١٩٩٩ .

– سام برنر : اليهود العرب عالم تم محوه وصفحات ازيلت من كتب التاريخ ، د . ن ، د.ت

– سوزان السعيد يوسف : المعتقدات الشعبية حول الاضرحة اليهودية دراسة عن مولد يعقوب أبي حصيره ، القاهرة ، عين الدراسات والبحوث ، ١٩٩٧
–شفيق الراشدات : الأوضاع القانونية ليهود البلاد العربية ، القاهرة مطبوعات الامانة العامة لاتحاد المحامين العرب ، ١٩٧١ .
– عبد الآله بلقزيز : الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية ١٩٤٧ – ١٩٨٦ ، بيروت ، ١٩٩٢
– عبد الجليل شلبي : اليهود واليهودية، القاهرة ، دار أخبار اليوم ، ١٩٩٧
– عطية القوصي : اليهود في ظل الحضارة الإسلامية ، جامعة القاهرة ، مركز الدراسات الشرقية ، د. ت
– مأمون كيون : اليهود في الشرق الأوسط الخروج الأخير من الجيتو الجديد ، القاهرة، الأهلية للنشر ، ١٩٩٦ .

- ماهر سمك : اليهود في المغرب ، القاهرة ، دار الحرية ، ١٩٩٨
- محمد الحبيب بن الخواجة : يهود المغرب العربي ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣
- محمد جلاء أدريس : مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الإسرائيلي ، القاهرة ، دار الثقافة ، ٢٠٠٣
- محمد عبد الحميد الحمد : دور اليهود في الحضارة الإسلامية ، د.ن ، ٢٠٠٦
- ميخال افيطبول : اليهود في البلد الإسلامية ١٨٥٠ – ١٩٥٠ ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٥ .
- هدي درويش : اسرار اليهود المستنصرين في الأندلس دراسة اليهود المارانوس ، القاهرة ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية ، ٢٠٠٨ .
- هدي درويش : الصلاه في الشرائع القديمة والرسالات السماوية ، اليهود ، المسيحية، الإسلام ،

القاهرة ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٦ .

الدوريات :

- إبراهيم بيصون : اسبانيا في تاريخها – المسيحيون والمسلمون واليهود ، مجله العربي ، العدد ٦١٥ ، الكويت ، وزارة الإعلام ، ٢٠١٠ .

- إيمان عبد الرحمن : التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف ١١٠٦ – ١١٤٢ م – العدد ٢١٥ – مج ٨ ، مجله كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الموصل ، ٢٠١٤

- باب سيدي : يهود مغاربة ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٧١ ، بيروت ، النهار ، ١٩٧٧

- دمية عبد الرحيم : يهود المغرب العربي في اسرائيل ، مجله شؤون فلسطينية ، بيروت منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٨١ .

- عزة أنسي سيد : الحياة الاجتماعية ليهود المغرب من منتصف القرن التاسع عشر حتي أوائل القرن

العشرين ، دورية علمية محكمة ، العدد الثاني ، ج٢ ، جامعة الأزهر كلية اللغات ، ٢٠١٢.
– علي عبد السلام سيد أحمد : ورقات تاريخية عن حياة البربر الدينية والخلفية في المغرب العربي ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٣٠ ، ٣١ ، القاهرة ، الجيلاوي ، ١٩٨٤ .

معلومات شبكة الانترنت :

- آسفي مدينة ليهود بدون صلاح – مجلة سفا باريس ، العدد ٤٧٥، ٢٠٠٨/٨/٢٠
www.safipress.com
- التاريخ اليهودي :
www.jimenaexperienc.org
- محمد الرواي : اليهود المغاربة ، الشرق الأوسط ، العدد ١٣٥٧ ، الرباط ، ٢٠٠٤/٧/١١
www.asharqalawsat.com
- توزيع اليهود في العالم العربي : المعرفة ، قسم البحوث والدراسات ، ٢٠٠٦/٥/١٧
www.aljazeera.net
- جهاد فاضل : اليهود في المغرب العربي ، جريدة الرياض ، د.ن ، د.ت
www.alrigabhi.com
- سهام لعسري : نبذة عن اليهود في تاريخ المغرب
www.anfasse.org

- محمد طحطح : الأخوه الأعداء يهود المغرب في العصر الحديث – ٢٠١٢/١/١٦
www.hespress.com
- مغاربة يهود : ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، ٢٠١٣
www.news.bbc.com
- اليهود المغاربة – تاريخهم – تحقيق الفجر – ٢٠١٣ .